ولعل المقولة – المسلمة الثانية، التي لا تقل بروزاً عن الأولى، هـو ما أصبح ملموساً من ارتقاء مستوى مجابهة الشعب الفلسطيني للاحتلال الاسرائيلي بحيث شملت أوسع قطاعات السكان في الضفة الغربية تخصيصاً. فهي لم تعد كما كانت في مرحلة سابقة، مقاومة معزولة ذات حاجة ماسة إلى مصل دائم لتغذيتها، يأتيها عن طريق عملية فدائية. وذلك بالطبع ليس معزولاً عن الأهمية القصوى للعمل الفدائي وطريق الكفاح المسلّح كأرقى أشكال النضال، في استقلالية موجباته الذاتية، وفعالية النتائج التي يحققها عبر عملية الجدل القائمة بينه وبين أشكال النضال الأخرى. لقد أصبح واضحاً أن النضال السياسي في الأراضي المحتلة بات لـه فعل الكـلاشينكوف تمـاماً، بـل أصبح كلاشينكوفاً من نوع آخر، على حد تعبير أحد أبرز قادة العمل الوطني في الداخل. وكمثال على ذلك يأتي اضراب معتقلي سجن نفحه، وحالة التضامن الشاملة التي فجّرها هذا الاضراب، بحيث تحوّل إلى نقطة استقطاب مركزية، في لحظتها الزمنية، لمجموع قطاعات الحركة الجماهيرية، وتتدرج فتندمج مع نقطة استقطاب أخرى، لتتشكل في سياق ذلك كرة الثلج المندفعة إلى الأمام. ومثال آخر، أو نقطة استقطاب أخرى، الانتفاضة الواسعة التي شهدتها مدينة نابلس مؤخراً، لمجرد ان قوات الاحتلال حاولت منع بناء مدرسة في قرية بلاطة . لا لسبب إلا لإصرار الأهالي على تسميتها مدرسة بسّام الشكعة. ولم تزل قضية من هذا النوع تحفز المواجهة، فتدفع المدلولات السياسية التي تحملها التسمية لتأخذ موقعها في المسار العام، وتكبر كرة الثلج. ولا ننسى بالطبع المحاولة الفاشية لقتل وتصفية قيادة العمل الوطني في الداخل، وما خلقته من وحدة وصرامة في التحدي، تخلق معطيات جديدة في عملية المواجهة الشاملة.

المقولة – المسلمة الثالثة هي القول بأن الضفة الغربية تخصيصاً، أصبحت شبه مغلقة على التأثيرات السياسية السلبية التي يمكن أن تأتيها من خارجها، مهما كان مصدر هذا الخارج. إن حالة التحصن هذه، وإرتقاء حالة الوعي السياسي العام الموجودة، قد منعتا العديد من الرموز المحلية المشروخة الولاء من التأثير في أي مستوى من مستويات المجابهة اليومية، وأصبح أمراً غير مقبول السماح بأي نشاط لا يصب في إطار وحدة الموقف. ان أي نشاط، مهما كانت إمكاناته المالية أو السياسية، يموت في مهده إذا ما حاول التأثير سلبياً على وحدة الموقف هذه، ويبرز مثل على ذلك، ما حاولته صحيفة «القدس» مؤخراً، باثارتها العداء ضد فريق من «لجنة التوجيه الوطني» – شكل العمل التنظيمي الخاص بالأراضي المحتلة – وما ووجهت به هذه المحاولة من استنكار واسع اضطر أصحابها إلى إقفال بابهم.

ان النقطة الرئيسية في كل ذلك هي القول بأن الوضع الشعبي في الضفة الغربية، بشكل خاص، لا يعاني من الاختناق وليس محشوراً في الزاوية، بل يمكن القول ان العكس هو الصحيح. فالاحتلال يفاجأ باستمرار بفشل وسائله لتطويع هذا الوضع. ان وسائل التعبير السياسي هناك في تقدم، فلا ينطبق على الضفة الغربية ما ينطبق عـلى ساحات عربية أخرى من حالة تخثر تعانيها بعض القوى السياسية، أو حالة تشرذم لدى بعضها الآخر؛ كما ان القوى العاجزة موضوعياً، سواء من حيث ماهيتها أو من حيث